النشاط الثقافي في الغرب

فرنسا

الادب الذي تطارده السياسة ...

كتب الان روب غرييه ، زعيم مدرسة « الرواية الجديدة » مقالا هاما في العدد ٦٤٠ من مجلة « اكسبريس » تحدث فيه عن العلاقة بين الادب والسياسة حديثا اثار عاصفة من النقد والردود في عدد من الصحف الفرنسية ، ولا سيما اليسارية .

وذكر غرييه في مطلع مقاله انه يحب المؤتمرات الادبية ، ولكنه يعود منها خائبا دائما : « لان الحديث فيها لا يتناول الادب ابدا ، او يتناوله قليلا جدا . » واضاف انه في الصيف الفائت قد حضر مؤتمرين اولهما في ليننغراد والثاني في اسكتلندا لم يجر الحديث فيهما الا عن السياسة « وعلى مستوى بدائي جدا : « شجب الفاشية وادانة الحرب والصراع ضد الظلم » الخ ...

وقال صاحب المدرسة الروائية الجديدة :

« ليس الكتاب مفكرين سياسيين بالضرورة . ومن الطبيعي بلا شك ان يكتفي معظمهم ، في هذا المجال ، بافكار موجزة ومهمة . ولكن لماذا تراهم يحرصون هذا الحرص كله على التعبير عنها امام الجمهور في كل مناسبة ؟ لماذا لا يملكون ابدا شيئا اخر يقولونه حين يدعون الى ارتقاء المنصة ؟ ولماذا يتهالكون على الغض من شأن اثارهم ذاتها حين يخضعونها للتعبير عن هذه التفاهات التي يرجع عهدها الى مئة سنة ، ان لم نقل الى ثلاثة الاف ؟ »

ويجيب غرييه هو نفسه على هذه الاسئلة بقوله :

« ذلك انهم ، على ما اعتقد بكل بساطة ، يخجلون ان يكونوا كتابا، وانهم يعيشون في ارهاب ابدي من ان يؤخذ عليهم او يسألوا لماذا يكتبون ، وما هي جدواهم ، وما مهمتهم في المجتمع . وهذا بالطبع اسئلة لا معقولة . فان الكاتب لا يستطيع ان يعرف ما جدواه ، شأنه في ذلك شأن كل فنان . ان الادب ليس في نظره وسيلة يضعها في خدمة شيء ما . وحين نسمع على شاطيء النيفا امتداح الرواية على انها آلة جيدة ، هذه الآلة التي يتهم النقد السوفياتي « الرواية الجديدة » بالرغبة في الابتعاد عنها (في الوقت الذي يستطيع فيه ان يعرض للشعب آلام العالم الحالي والعلاجات الدارجة ...) حين يصمون آذاننا بـ « التبعة » التي يحملها الاديب ، فاننا مضطرون الى الاجابة بانهم يسخرون منا ، وان الرواية (أو المسرح) ليسا آلة، وانهما لا يجديان كبير جدوى ، من وجهة نظر المجتمع .

ويستطرد الان روب غرييه فيقول :

« ان الروائي ملتزم بالتأكيد ـ ولكنه كذلك على اي حال ، لا اكثر ولا اقل من اي انسان اخر ـ بمعنى انه مواطن في بلد ما ، وفي حقبة ما ، وفي نظام اقتصادي ما ، وانه يعيش في قلب عادات وقوانين اجتماعية ودينية وجنسية الخ ... انه بالاجمال ملتزم بمقدار ما هو غير حر . واحد الاشكال الخاصة التي يأخذها في هذه الفترة تقييد حريته ، يبدو في هذا الضغط الذي يمارسه المجتمع عليه حين يحاول ان يحمله على الاعتقاد بانه يكتب من اجله (-او ضده ، مما يعود الى النتيجة نفسها) ان في هذا حالة هامة جدا لما تواضع الناس على تسميته بـ « التنازل » .

ويوضح غرييه بعد ذلك نظرته الى الموضوع فيقول ان الكاتب يعاني من المصيبة التي يعاني منها اشباهه ، فمن عدم الاستقامة الادعاء بانه يكتب ليعالج هذه المصيبة. ثم يضيف بان كاتب المانيا الشرقية الذي صرح في مؤتمر لينننغراد بانه يكتب الروايات ليحارب الفاشية ، يضحكه كثيرا ويجعله قلقا بالنسبة لقيمته ككاتب ... وينتقد غرييه كذلك آراء الكاتبة الانكليزية جوان ليتلوود متسائلا : « هل تعتقد حقا ان مسرحيتها ستجعل الناس يقررون الامتناع عن الحرب ، بحجة انها تكشف لهم عن مساوئها واكاذيبها ؟ »

ويسخر زعيم « الرواية الجديدة » من منتقديه بعد ذلك بقوله :

« اما نحن الروائيين المساكين ، او المؤلفين المسرحيين ، او السينمائيين ، اذا جرؤنا على ان نقول ان ما يهمنا هو اولا الادب (او السينما) وان شكل الكتب والمسرحيات والافلام يبدو لنا اهم من الحكايات ـ حتى ولو كانت ضد الفاشية ـ التي يمكن ان تضمها ، واننا نجهل في لحظة الخلق ما تعنيه هذه الاشكال ، وبالتالي ما يمكن ان تحمل من جدوى ـ اذ ذاك ينهال علينا الاستنكار العام في ادمبورغ ولنينغراد وسان باولو وبرشلونة ... ويشار الينا بالاصابع ، ونتهم باننا ندبر مؤامرة ما ضد الطبقة العمالية . وسرعان ما يتحول الاستنكار الى شتائم من قبيل « مجاني » و « شكلي » و « سيء » و « منحط » و « لا انساني .. »

ويعلق غرييه على ذلك بقوله : « ولكن هناك شيئا عجيبا يجب ان

يقلق تقدميينا الرسميين : وهو ان نجد على هذا النحو الاوهام نفسها وعبادة الماضي نفسها والمفردات نفسها واخيرا القيم نفسها ، متماثلة وهادئة تماما ، في المعسكر الاشتراكي وفي العالم البورجوازي » .

ويتساءل الكاتب الروائي : « تقولون ان فننا « مجاني » ؟ ولكن كيف تريدون ان ينجح الادب في متابعة تذبذبات سياستكم يوما بعد يوم ؟ تذكروا ان الواقعية الاشتراكية كانت تكمن ، منذ عهد غير بعيد ، في الاشادة بمزايا ستالين ... »

وانهى الان روب غرييه مقاله بقوله : « ان الادب في رأينا ليست وسيلة تعبير ، وانما وسيلة بحث . بل هو لا يعرف ابدا ما يبحث عنه. انه لا يعرف ما الذي ينبغي ان يقول . و « الشاعري » يعني في رأينا الاختلاق (بمعنى الاختراع) اختلاق العالم والانسان ، الاختلاق المستمر والتساؤل الدائم . واما « السياسي » فنراه كل يوم ، وهو لا يعني ، في الشرق كما في الغرب ، الا احترام القواعد وحصر الفكر في نماذج ، وخوفا مذعورا من كل شك وارتياب . ومن هنا كانت الواقعية الاشتراكية وحدها هي التي تلائم « التعبير » عن كل سياسة ، بما في ذلك سياسة اقصى اليمين . ومن اجل هذا باتت السياسة ، في اخر المطاف ، لا تهمنا اطلاقا . ولهذا نحن نؤثر ابحاثنا والتماساتنا وتحرياتنا ، وشكوكنا وتناقضاتنا ، وفرصتنا بان نستطيع بعد ان نختلق شيئا ما . »

« ثورة »

ظهرت في الشهر الماضي في باريس مجلة جديدة بعنوان « ثورة » باللغات الفرنسية والانكليزية والاسبانية . وهي مجلة شهرية ذات اتجاه صيني ويرئس تحرير نسختها الفرنسية جاك فرجيس محامي جبهة التحرير الوطنية الجزائرية السابق .

وقد جاء في افتتاحية العدد الاول من المجلة ان « ثورة » ستكون صلة الوصل بين المناضلين مسلحين كانوا ام غير مسلحين ، الذين تتحطم عندهم الانطلاقة الامبريالية ، والعمال الملتزمين في نضالهم ضد مجتمع رأسمالي يحاول ان يتألفهم ، واولئك الذين يبنون الاشتراكية »

وقد ضم هذا العدد الذي طبع منه خمسة عشر الف نسخة ، باخراج انيق ، وثائق جديدة عن معركة النقاش الصيني السوفياتي ، وملحقا من ٢٥ صفحة مصورة عن كوبا .

الولايات المتحدة

« المتشردون السماويون »

ما تزال رواية جاك كيروك J. Kirouac الخامسة « المتشردون السماويون » تثير اهتمام القراء والنقاد والدارسين في الولايات المتحدة . والمعروف ان كيروك هو زعيم مدرسة « الغاضبين » وهذه الرواية تعتبر تجديدا وبعثا لتقاليدها واتجاهاتها .

وقد كان احد الموضوعات الكبرى للادب « الغاضب » موضوع الرحيل والتسكع والتجول والتيه ، وهو موضوع يعبر عن نفسه بوصف السير الطويل على الاقدام ، والقفز الى القطارات وهي منطلقة ، والانتظار في الطرق ، واذا توقفت سيارة لتحمل المتشرد ، فان سائقها يكون دائما كائنا غريبا ، ذلق اللسان ابدا او صموتا صمتا اقرب الى المرض ، وهو عموما ممتلىء خمرا .

غير ان متشردي هذا الادب الجديد ليسوا بعد متسكعين بؤساء كمتسكعي الامس . انهم مثقفون يملكون ثقافة عجيبة حقا . ولعل في هذا اشارة الى تبدل عميق في المجتمع الاميركي : فلئن كان نداء الطريق ما يزال نداء عميقا لا يقاوم في هذه البلاد الاميركية التي لا تنتهي فيها السهول ولا الجبال ، مثيرة الحاجة الى التنقل ، فان المتشردين الذين يغدون ويروحون عدة مرات في العام من « الاوريغون » الى «نوفومكسيك» ومن « الفرمونت » الى فلوريدا من الجورجيا الى كاليفورنيا ، يمكن ان يكونوا اصحاب كراسي في احسن الجامعات . ومن هؤلاء « جافي » بطل رواية كيروك الجديدة : « ... كان مستعدا للتخصص في الانتروبولوجيا والميثولوجيا الهنديتين . ثم انتهى به الامر الى تعلم اللغتين الصينية واليابانية ، واصبح مستشرقا باحثا ، واكتشف وجود اكبر المتشردين السماويين ـ مجانين «زن» ـ في الصين واليابان » وفي مكان اخر ، يوصف احد هؤلاء المتشردين بانه « هاوي فن اكثر مما هو بوهيمي . »

واذن ، فجميع هؤلاء التائهين مثقفون ، وكلهم شعراء وموسيقيون ، ولكن ثقافتهم تروي غلتها من النصوص المقدسة للفلاسفة الهندوكيين. وهذا تأثير لم يخضع له متشردو الثلاثينيات ، بالرغم من ان كيروك قد شعر بالحاجة الى خلق فترة انتقال بين الادب الذي سبقه وادب عصره ، باعتبار ان «المتشردين السماويين » تظهر منذ الصفحة الثانية متشردا كحوليا عجوزا لا يفارق ابدا قصيدة للقديسة تيريز الافيلية ، مقتطعة من مجلة مصورة ...

ولكن ما معنى هذه الثقافة ، وهذه الاقتباسات من الفلاسفة الهندوكيين ، وتلك المفردات الغريبة التي يستعملها ابطال كيروك استعمالا قد يكون متعبا ؟ ان معناها بلا ريب رد فعل ضد الحضارة الاميركية المادية . لقد كان صوت الفضح والشجب والادانة يرتفع من ادب المغامرات الماضي . اما ادب اليوم ، فيكاد لا يحوي الا بعض الاحتجاج . وابطال كيروك اليوم يقابلون مجتمع الالة باسلوب حياة تمجده كل صفحة من الكتاب . لقد اصبحت الثورة مضمرة . وينتج عن ذلك اناشيد حقيقية على شرف العفاف والزهد والتعرية والتوحد ، واحتقار للمدنية التكنيكية وتحيز طبيعي يتخذ شكل غرام عنيف بالمشاهد والمناظر في اكثر اشكالها وحشية .

ان ثلاثة ارباع « المتشردين السماويين » تصف رحلات تصعيد في الجبال ، وتصور مشاهد في الهواء الطلق ، وفي عزلة القمم العالية . ويستشعر ابطال كيروك هوسا شبه صوفي بالليل والنجوم والزهور والريح والثلج وغروب الشمس والشجر ، واجمل صفحات الكتاب (بالرغم مما فيها من اطالة واسهاب) هي التي تصور تصويرا غنائيا تلك الطبيعة وهي تقارن بالانسان . ان الحنين الى حياة تسبق العصر الحضاري يوحي الى كيروك فصولا كاملة ملآى بروح الفكاهة والسخرية.

ذلك ان المخلوقات « الغاضبة » ليست مخدوعة لا بالعالم ولا بنفسها . ان اشكال التصعيد والاقامة المتوحدة في الجبال تنتهي دائما بالهبوط والعودة ـ العودة الى المدينة ، والى الحضارة . وهكذا يمكن للادب « الغاضب » ان يتحدد ، وفق المفهوم الذي يأخذه دعاتها عن الفلسفات الهندوكية ، بانه : استحالة المرء ان يكون بوذيا ، اي طاهرا نقيا ، ما دام على قيد الحياة . ومن هنا مصدر روح السخرية والفكاهة الذي يصب فيه كيروك مزيجا من التأملات المادية والماورائية ، والذي يخلط فيه بين المفردات القدسية والمفردات التجديفية ... ومن هنا ايضا المشاهد الخلاعية والخمرية بالرغم من انها مصحوبة غالبا بالفرح

والود والصداقة .. ولكن قد يحدث ان تنتحر امرأة .. وهذا نادر . واذا عدنا الى ذلك التقليد في « الادب الخمري » لاحظنا ان ابطال الروايات « الفاضبة » ، على عكس آبائهم في الجيل السابق ، لا يشربون الويسكي ابدا ، وانما يشربون الخمر فقط ، وان عهد السكر الكئيب المخيف الذي كانت تصفه روايات السنوات الثلاثين ، قد انتهى .

ان « الفاضبين » هم في الحقيقة حكماء عاقلون ، على غرار معلميهم : انهم يمارسون التفاوت ، لوثوقهم بان الخير والشر يتقاسمان الانسان . فالخير هو الطبيعة والجبل والصراع وتوكيد الجسم والروح . اما الشر فهو المدينة و « التقدم » والخلاعيات والجنس (من هنا نرى « راي » رواية « المتشردين السماويين » يرصد نفسه لان يبقى عاما كاملا دون ان يقرب امرأة .)

ربما قيل ان في ذلك ارثا عن الطهرية الاميركية . هذا جائز . ولكن بوسعنا ان نلاحظ ايضا هذا اللقاء العجيب بين رواية « الفاضبين » و « الرواية الجديدة . » صحيح أن ليس ثمة ادبان متنافران كهذين الادبين . ومع ذلك ، فانهما كليهما يصبان اللعنة على الانسان ، وينفيانه . ان عالم الاشياء الذي تصوره « الرواية الجديدة » ، يقابله في رواية « الفاضبين » ، عالم فقد انسانيته واخذ يهتم بالكون : بالصاعقة والريح والسماء . (1)

« النار في المرة القادمة »

نشرت « النيويوركر » سلسلة من المقالات للكاتب الاميركي الزنجي جيمس بالدوين تحت عنوان The fire next time (النار في المرة القادمة) وقد صدرت هذه المقالات مؤخرا في كتاب استقبل كدراسة من اهم الدراسات التي ظهرت في الولايات المتحدة منذ وقت طويل . وليس الكتاب حدثا سياسيا وحسب ، بل هو ايضا حدث ادبي ، باعتبار ان نثر بالدوين ، في رأي النقد البريطاني كذلك ، نثر « لامع » و « ملتهب » ... ولكن الشيء الرئيسي هو الانذار الذي يوجهه الكاتب الزنجي الشاب ، هو « تحدي الزنوج » : فاما ان يتغير المجتمع الاميركي رأسا على عقب ، واما ان يسقط في افظع فيضان عرفه التاريخ الحديث . ان الزنوج لا يطلبون « التسامح » ، وانما يطلبون الانصهار التام الذي لن يكون ممكنا الا يوم يكف الابيض عن ان يكون ذئبا تجاه الابيض . ذلك ان الحقد على الزنوج ليس هو ، في نظر بالدوين ، الا مهربا من الخوف والحقد اللذين يكنهما البيض تجاه اخوتهم في اللون ...

ثناء على الروايات الفرنسية

نشرت « النيويورك تايمس » في احد اعدادها الاخيرة مختارات من الروايات تعتبرها افضل ما صدر في الاشهر الماضية . ويحتل المركز الاول كاتبان فرنسيان هما زوي اولدنبورغ كاتب رواية « مخزن حطب مونسوغير » وايف بيرجيه صاحب رواية « جنوب » . وقد نشرت « النيويورك تايمس بوك ريفيو » نقدا ايجابيا لهذه الرواية الاخيرة واثنت عليها كثيرا ، وقد كتب النقد وليام غويان صاحب رواية « بيت هالين » المشهورة .

(1) راجع مقال ايف بيرجيه في مجلة « الاكسبريس » عدد ٣ اكتوبر الحالي .

الاتحاد السوفياتي

تعايش سلمي ... في الثقافة !

منذ شهرين ، تحدث ايليا اهرنبورغ ، في الخطاب الذي القاه بمؤتمر لينينغراد الادبي ، عن اعجابه بجويس وكافكا . اما انيسيموف الذي انتقدهما بعنف شديد ، فقد اعترف بان اثارهما تحمل « قيمة تاريخية » .

والواقع ان اسمي جويس وكافكا كانا ، حتى ذلك التاريخ ، مصحوبين في المجلات السوفياتية التي تتحدث عنهما بنعوت من قبيل : « نتاج التحلل البورجوازي » و « اللاانساني » الخ ... بلا تعليقات اخرى . ولم تمر اراء اهرنبورغ وانيسيموف من غير تعليقا تكذلك في الصحف السوفياتية ، فقد نشرت جريدة « ليتيراتورنايا غازيتا » اطول مقال خصص لجويس وكافكا وبروست في اية صحيفة سوفياتية . وترى الجريدة ان رواية « اوليس » لجويس هي « تصوير للاخلاق التي تثير الاشمئزاز » وتحوي مقارنة بين « الشاعر البورجوازي ستيفان ديدالوس » و « البورجوازي الصغير المبتذل بلوم » الذي كان موضوع كراهية جويس ، على حد قول الجريدة . وتتابع الليتيراتورنايا غازيتا فتقول « ان بلوم هو الذي ينتصر في هذا الصراع ، بالرغم من جهود جويس » ، ومن هنا كان « فشل » اوليس ..

وعلى هذا النحو ايضا ، بسطت الجريدة السوفياتية انتاج كافكا الذي لم يكن يعبر في رأيها الا عن « الخوف امام الحياة » هذا الخوف الذي يعانيه انسان « يطلب من قوى خفية ان تغفر له اثاما هي الاخرى خفية » . وتخصص الجريدة مقطعا طويلا بعد ذلك « للفن المتميع » الذي يظهر في اعمال بروست .

ولكن الملاحظ في هذا المقال ان الجريدة تشير ايضا الى « صدق» كافكا ، والى « اصالة جويس « وعظمة موهبته » وواقعيته . وتعترف الجريدة كذلك ان جويس وكافكا وبروست يشكلون « كسبا قويا لتاريخ الادب » .

غير ان هذا لا يمنع الليتيراتورنايا من ان تدحض تأكيدات اهرنبورغ التي تنص على ان كافكا قد تنبأ بالفاشية ، وان جويس كاتب من اجل الكتاب (فنان من اجل الفن) . ولكنها تختم مقالها بعبارة : « ان هؤلاء الكتاب لا يمكن ان يشكلوا لنا لا علما ولا مرمى . وعلى الواقعية الاشتراكية ان تكتفي بنقدهم . » وهذا يعني بعبارة اخرى ان تعايشا سلميا « نقديا » هو الان وارد بين الكتاب الثلاثة والواقعية الاشتراكية.

بيد انه اصبح معلوما ان خروتشوف يعارض « التعايش السلمي في الميدان الايديولوجي » . ولكن سياسته الخارجية تجبره على ان يلتمس الحوار مع جميع اولئك الذين يبدون موافقين على « التعايش السلمي بين الدول » . ولا سيما الكتاب منهم . (1)

الموسم المسرحي القادم

صرح فلاديمير غولدوبين ، الرئيس المساعد لمسارح وزارة الثقافة في الاتحاد السوفياتي ، بان المسارح قد تلقت في الموسم الماضي سبعين مليون مشاهد . وكانت المسرحيات التي تعالج موضوعات معاصرة هي الاكثر عددا ، وهناك ١٣٠٠ مسرحية لمؤلفين سوفيات من مجموع ١٩٠٠ مسرحية تعرض حاليا . والمهمة الرئيسية للموسم الجديد هي خلق مسرحيات معاصرة تتناول قضايا حالية وتصور بعمق الشخص الرئيسي فيها : الانسان السوفياتي . وهناك مسارح عديدة ستقتبس للمسرح روايات وقصصا لكتاب سوفيات ذائعي الصيت . على انه ستعرض كذلك مسرحيات اجنبية كثيرة . وبمناسبة الذكرى الاربعمئة لمولد شكسبير التي سيحتفل بها في العام القادم ، ستعرض على المسارح السوفياتية عدة تمثيليات : « روميو وجولييت » في موسكو و « هاملت» في اذربيجان وارمينيا ، و « مكبث » في لتوانيا واستونيا « وانطوان وكليوباتره » في بيلوروسيا و « عطيل » في طادجكستان و « الملك لير » في تركمانيا وسواها .

وتحدث ميخائيل تشولاكي مدير مسرح البولشوي عن التمثيليات التي ستعرض في « قصر المؤتمرات » بالكرملين ، ومنها « اكتوبر » وهي اوبرا لفانو موراديلي و « دون كارلوس » لفيردي و « ليلى والمجنون » وهي باليه لبالاسانيان و « جميلة الغاب النائم » لتشايكوفسكي . وسيعرض مسرح البولشوي ايضا « دون جوان » لموزار .

اما مسرح مالي في موسكو فسيعرض « العاصفة » لشكسبير و « رجل ستراتفورد » لاليوشين و « مدام بوفاري » لفاوبير و « بزغ القمر » لشتاينبك . (2)

(1) راجع مقال جريدة « فرانس اوبسرفاتور » في عدد ٣ اكتوبر

(2) راجع العدد ٣٧ من « اخبار موسكو » ، النسخة الفرنسية .